

## السياسة التربوية وبناء المواطن

### 2

**د. نسيف أبو ضرغام**

السياسية التربوية وبناء المواطن، عنوان يستعجن إشكالية، هي واحدة من عدة إشكاليات تعيق تحول لبنان السلطة ولبنان الطوائف الى لبنان الدولة الحديثة ولبنان الشعب بالمعنى التاريخي والحضاري.

أين هي الإشكالية المشار إليها؟ هل هي في إمكانية خلق مواطن في لبنان! وهل من الممكن وضع سياسة تربوية لبنانية تستهدف خلق مثل هذا المواطن؟ وإذا ما وضعت مثل هذه السياسة، هل يمكن أن تطبق؟

### ثالثاً: الموقق المؤسساتي

من المنطقي جداً، أن لاينتج النظام الطائفي المذهبي مؤسسات وطنية جامعة تتعلق بالتنشئة والتربية الوطنية، فالمؤسسات هي جزء من البنية القويّة التي تتناغم وتتكامل مع الواقع السوسيوولوجي الذي نوهنا إليه. ولذلك أتت من ذات الاتجاه، وتحمل ذات السمات وتعلب ذات الأدوار التي تهدف بالنتيجة إلى تكريس الثقافة الطائفية ـ المذهبية وخلق الفرد الطائفي ـ المذهبي وفكرا وسلوكاً واستهدافاً.

لقد أنتج هذا النظام مؤسساته التربوية، فكانت المدارس الخاصة ذات المناهج المتصلة والمتجزئة ببقافة الطائفة أو المذهب. وكذلك الجامعات الخاصة التي تبنت المناهج الأجنبية، وبالتالي الثقافة الأجنبية، إضافة إلى مؤسسة العائلة والمؤسسات الدينية، وكلها كانت تنتج نماذج من الأفراد مختلفين بنسبة اختلاف الثقافات الطائفية والمذهبية التي كانت وراء هذه المؤسسات ـ إن الناظرإلى خريطة المؤسسات التربوية في لبنان، يرى بوضوح ضعف المؤسسات التربوية، من ناحية واثناوية وموتسولة وابدثائية، مقابل تفوق الجامعات والثانويات والمتوسطات الخاصة، وأحياناً كثيرة، بفعل رعاية الدولة.

هذه التشكيلات التربوية المتناثرة والمختلفة في المنهج والمادة التعليمية والإستهداف، شكلت عاملاً قاتلاً للمواطنة بانتاجها أفراداً ذوي انتماءات مذهبية ـ طائفية، باتت لهم نظرة مجزوءة للمصالح، ومحدودة الأفق، تاريخهم تاريخ طوائفهم، ومصالحهم صراخ طوائفهم وافقهم أفق طوائفهم، غالب الوطن، وغاب التاريخ الوطني عن فهمهم، واقتلبوا من مواطنين إلى رعايا طوائف.

من هنا يتأكد لنا، أن القصور في فعالية المؤسسات الوطنية

التربوية الجامعة، كالجامعة اللبنانية والمجلس الوطني

للحجوة والإتماء، هذا القصور أمام طغيان المؤسسات التربوية

الخاصة، كان عاملاً حاسماً في فشل وجود المواطنة، لحساب

الرعوية في الانتكاس الطائفي ـ المذهبي.

### رابعاً: الموقوف السياسي

يأتي الموقوف السياسي كنتيجة حتمية، وهو يرتكز إلى العوقات الثلاثة التي أشرنا إليها أعلاه، فعندما يكون الواقع السوسيوولوجي للمجتمع اللبناني، واقعاً مشوهاً بالتكوين الطائفي ـ المذهبي، والذي يشكل البنية التحتية للنظام والمجتمع اللبنانيين، البنية التي تضخ النسغ الطائفي المذهبي في عروق الميثاق والدستور والقانون والمؤسسات، فنشوهها جميعاً. عندما يكون الأمر على هذا النحو، فسوف ينتج كل ذلك سياسة مشوهة، تتناغم وتنسجم مع تلك البنية التحتية، ومع ترجمتها في الدستور والقوانين والأعراف والمؤسسات. فليست السياسة والمؤسسات السياسية حالة مختلفة عن باقي جوانب الدولة والمجتمع في لبنان بل بالعكس، فالسياسة تلعب دوراً تفصيلياً في تكريس الواقع الطائفي، في ليست منتوجاً طائفاً، نتيجةه البنية الطائفية فحسب، بل هي استنراء، قوة توجيه وترسيم وتخطيط ودفع وتبرير للواقع الطائفي ـ المذهبي في لبنان.

من المؤكد أن السياسة المجسدة بالدولة ومؤسساتها، تشكل ذروة البنية القويّة سياسياً، إلا أن هذه السياسة تعود لتلعب الدور القيادي في إعادة إنتاج شروط الواقع الطائفي ـ المذهبي لتنامين استمراره.

وخطورة الأمر، في أن الحراك السياسي خططاً واداء وغايات، هو ذو طبيعة يومية تفصيلية، تتداخل في حياة الفرد، لذلك هي أكثر العوقات تأثيراً وضغطاً عليه، وبالتالي هي الأكثر دفعا باتجاه إسقاط مفهوم المواطنة عنده. لأن هذه السياسة، يكون موضوعها الطائفة والمذهب، وتستهدف تلك الطائفة أو المذهب معبراً الزمياً باتجاه حقوق الأفراد في الدولة، وبالتالي إعطائهم مفاضمين طائفية ومذهبية جمعية، في الخيارات، والرؤية، والوعي ـ وهذا هو إسقاط المواطنة بعينته.

### خامساً: تعذّر وجود سلطة سياسيّة

### لها مصلحة في الخروج من هذا المأزق الطائفي ـ المذهبي العائلي ...

هذا الموقوف المعتطل وتعذر وجود سلطة سياسية تسعى للخروج من المأزق الطائفي ـ المذهبي، هو نتيجة استرطابية للمعوق السياسي العام، الذي جرى بحقه أعلاه، وبالتالي فإن الثقافة الطائفية في لبنان، تدور في حلقة مفرغة، على أربعة قواعد، هي: أولاً المعطى السوسيوولوجي، وثانياً المعطى الميثاقى ـ الدستوري ـ القانوني، وثالثاً المعطى المؤسساتي، ورابعاً المعطى السياسي، وتلعب السلطة السياسية دور المنشئ animator في تفعيل عملية التأثير والتأثير القائمة بين المعطيات الأربعة.

ومن حيث أن السلطة السياسية هي منتوجـة بشروط ومحتوى

وظروف المؤسسات والمنظومة الميثاقية ـ الدستورية ـ القانونية

ـ العرفية، والتكوين السوسيوولوجي كبنية تحتية، فهي بلا شك

لن تخرج عن دور المنشط لكل هذه البنى structures، بل

أكثر من ذلك، فهي تلعب دور الضامن لاستمرار هذه البنى، وفق

الثقافة الطائفية، لن تنتج سلطة سياسية تقوم على كسرهما:

لأنه ليس منطقياً أن توجد سلطة سياسية تلغى شروط وجودها،

فالقضاء الطائفي قضاؤها، والثقافة الطائفية ثقافتها وسلاحها،

والبنى المختلفة في الهيكلة الطائفية مبرر وجودها، وكل ذلك

على حساب المواطنة ـ انتماءه فردي وشمولي ومباشر ومفعّل

في السياق التاريخي العام.

### ثالثاً: نتائج غياب المواطنة على مستوى الفرد ووعي الجماعة في لبنان:

تندرج النتائج المترتبة على غياب المواطنة تحت أربعة أشكال:

### 1 - تزييف الوعي

في غياب المواطنة، وحلول الانتماء المذهبي ـ الطائفي ـ العشائري، يترتب نمو ثقافة تتناغم مع هذا الإتماء، وتؤسس لحياة تستمد شروطها ومضمونها منه. ذلك أن الإتماء المشار إليه، يولد اعتقادات كسجية ومشوهة للفكر، ولقد أشار أنطون سعاده إلى ذلك في محاضراته في مؤتمر المدرسين القوميين الاجتماعيين حين قال:

«الاعتقادات الكسجية المشوهة للفكر، التي تغرس في

النشئة بعناية فائقة، في مؤسسات ربوبية وتدرسية، أنشئت

لأغراض معاكسة للوعي القومي.... سعاده، الآثار الكاملة ـ عدد

(15 ص 169 ـ 1948.

فالوعي الطائفي زيفه في أنه:

١ ـ محدود بحدود الطائفة أو المذهب، فهو قاصر عن أن يكون

وعياً وطنياً.

ب ـ مضمونه في قضايا الطائفة أو المذهب أو العشيرة، وهو

بالتالي قاصر عن الأخذ بمفهوم وقضايا المجتمع ككل.

ج ـ ضميته انحصار مصالح الطائفة والمذهب على حساب

الطوائف والمذاهب الأخرى، فالآخر بالنسبة إليه غريم وخصم

ومشكوك فيه.

د ـ الوعي الطائفي حاجز سميك غير قابل للاختراق باتجاه ما

هو أبعد من الطائفة والمذهب لجهة الإخطار المدخدة وجودياً،

سواء في الطائفة هذه، أو في بقية الطوائف.

هـ ـ وعي ينتج ثقافة كسجية تحاكيه في محدوديته ومضمونه

الزروي.

و ـ يشكل صراعاً معاكساً ومعادياً للنبهوض، ولكل تكوين

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،

ولقد قال سعاده أيضاً في هذا الإطار:

«قضية التربية والتثقيف، قضية الصراع المميت، بين تاريخ

فكري وفنسي وفلسفي جديد، بحساب حدوده المغلقة والضيقية،